تداعيات طوفان الأقصى على التعليم في غزة

وفاء كردمين(*)

أستاذة مساعدة للتعليم العالي في علم الاجتماع ـ
المعهد العالي للعلوم الإنسانية، مدنين – تونس.

مقدمة

عند إلقاء نظرة عامة حول تداعيات طوفان الأقصى، سندرك آليًا أنّ هناك أمرًا مختلفًا عما هو متعارف عليه في السابق، فتحديد هدف حركة حماس ـ تقود النضال الفلسطيني في قضية القدس والمسجد الأقصى والقضية الفلسطينية ـ من القيام بهجومِها المباغت في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، يجد الجميع تقريبًا صعوبةً في فهمه وتفسيره. وفي المقابل كثف الكيان الإسرائيلي ممارساته العدوانية. هذه الحرب القائمة بينهما تلوّح إلى إعادة الهندسة الجيوسياسية القائمة على إحدى نظريات الجغرافيا السياسية الخاصة بـ«أحزمة التحطم» التي أشار إليها كل من فيليب كيلي[1] وكولن غراي[2] في كتاباتهما، حول تصاعد الصراع الإقليمي من المنظور الجيوسياسي. وفي إطار لعُبة «توازنات القوى» فإن الصراعات تُمثل مجالًا خصبًا لاستدراك القوى الخارجية للتدخل استنادًا إلى نظريتي «التمدد الحيوي» و«تقاسم النفوذ»[3]. وإسقاطًا على الحرب الفلسطينية ـ الإسرائيلية، فهي تعدّ بمنزلة «النافذة» لإعادة التنافس الدولي على المنطقة وهو ما يتضح في تحركات الولايات المتحدة الأمريكية مع الكتلة الأوروبية لدعم إسرائيل، مقابل التحركات الروسية والصينية وعدد من الدول الغربية في مجلس الأمن الرافضة للهجمات المتتالية للجيش الإسرائيلي، وذلك في إطار إعادة ترسيم الخيارات السياسية لكل الأطراف الدولية وفقًا لمحددات وخصائص إقليمية جديدة يُعاد

(*) البريد الإلكتروني: wafa.kardamine@isshm.rnu.tn

(1) Philip L. Kelly, «Escalation of Regional Conflict: Testing the Shatterbelt Concept,» *Political Geography Quarterly*, vol. 5, no. 2 (April 1986), pp. 161-180, <https://tinyurl.com/5n974w6a> (accessed on 10 October 2023)

(2) Colin Gray, «In Defense of the Heartland: Sir Halford Mackinder and his Critics a Hundred Years On,» *Comparative Strategy*, vol. 23, no. 1 (2004), pp. 9-25 (Published online 24 June 2010).

(3) «نظرية «الردع الإسرائيلي» بين حرب الغفران وطوفان الأقصى،» مركز سوث 24 للأخبار والدراسات، 22 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://south24.net/news/news.php?nid=3596>

تكوينها في إطار ما بات يُعرف بـ«خريطة أحزمة التحطم»، التي أوجدت مناطق نفوذ ومواطئ قدم استراتيجية للقوى المناوئة لواشنطن وحليفتها تل أبيب، على نحو مكّنها من تطويقها عبر «حزام تحطم» بؤر الصراعات في منطقة الشرق الأوسط في كل من سورية ولبنان والعراق[4].

أمّا التداعيات المباشرة لطوفان الأقصى على فلسطين وعلى قطاع غزة بصفة خاصة ـ وبما أننا نهتم في هذا البحث بدراسة تداعيات طوفان الأقصى على القطاع التعليمي، الذي اعترته «هشاشة في أدوات التّسيير» على حد تعبير بيار إيريك تيكسيي (Pierre Eric Texier)[5]، الناتجة من الخاصيّة الوقتيّة للمرجعيّات القانونيّة وارتباطها بالتغييرات السّياسية للدولة الفلسطينية ـ فقد استهدف الاحتلال الصهيوني قطاع غزة وعمل على تدمير البنية الحياتية فيه، هذا القطاع المحاصر جوًا وبحرًا منذ 17 عامًا، في حرب تعدّ الأكثر وحشية إلى حد هذا التاريخ؛ فالقصف الإسرائيلي يتعمّد تدمير المؤسسات التربوية بمختلف أنواعها واغتيال الطلبة والأكاديميين. وهو ما وصف بالتدمير الاستراتيجي الممنهج للمؤسسات التربوية الذي أشارت إليه مؤسسة الدراسات الفلسطينية بعنوان «الحرب المفتوحة على التعليم»[6].

الإطار المنهجي

الإشكالية: يهدف الاحتلال الإسرائيلي إلى القضاء تدريجًا على مقومات المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وجعل الفلسطينيين يعيشون عزلة حضارية. فما يعيشه الشعب الفلسطيني منذ بدء القصف في السابع من أكتوبر، ووسط دعوات علنية إلى الإبادة الجماعية، مع تعهد رئيس الوزراء الإسرائيلي بتحويل غزة إلى جزيرة مهجورة، ودعوة وزير التراث الإسرائيلي بإلقاء قنبلة نووية على غزة، وتشديد الحصار المفروض عليها وإغلاق جميع مخارج القطاع، كان من نتائجه آلاف الضحايا وعدد كبير من المفقودين تحت الأنقاض، أغلبهم من النساء والأطفال، ومع مواصلة السلطات الإسرائيلية انتهاكها المتصاعد في غزة للحقوق التعليمية من خلال استهدافها المدارس والجامعات والطلبة والكوادر، لذلك يتساءل هذا البحث عن واقع التعليم في غزة بعد طوفان الأقصى، وينظر في الوضع الفلسطيني بخاصة في الأيام الاحتفالية السنوية، وينظر في ردود أفعال بعض المنظمات الدولية مما يحدث في فلسطين بعد طوفان الأقصى. كما يمكن أن يكون هذا البحث فاتحًا للآفاق للتساؤل عن التأثيرات القريبة والبعيدة المدى لطوفان الأقصى في المشاريع التربوية الفكرية العربية، فهل يمكن بناء نموذج فكري جديد على أنقاض ما يحدث في غزة؟

---

(4) مهاب عادل، «التداعيات الجيوبوليتيكية للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي في ضوء عملية طوفان الأقصى،» مركز الأهرام للدارسات السياسية والاستراتيجية، 16 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://acpss.ahram.org.eg/News/21028.aspx>.

(5) Jacques Ardoino, *Education et politique*, collection hommes et organisations (Paris : Ed Anthropos, 1999), p. 124.

(6) نجاح حمود، «الحرب على التعليم.. لماذا تتعمّد «إسرائيل» تفعيلها في قطاع غزة؟،» الميادين.نت، 8 شباط/فبراير 2024، <https://tinyurl.com/2s3d6rnv>.

الفرضية: تعدّ إعادة بناء المؤسسات التربوية التعليمية أولويةً في قطاع غزة تسعى إليها الدولة الفلسطينية رغم محدودية الإمكانيات، وبقطع النظر عن إعادة الهندسة الجيوسياسية في إطار الصراع الإقليمي وإعادة رسم الخيارات السياسية.

منهج البحث: تعتمد الدراسة المنهج التاريخي من أجل تحليل الاتجاهات والوقائع والأحداث السابقة لفهم تعمُّد الكيان الإسرائيلي استهداف المؤسسات التربوية الفلسطينية؛ وكذلك للاستفادة من الماضي في فهم وتحليل الحاضر عبر وصف الحوادث بطريقة موضوعية، ومحاولة ربطها في سياق زمني ومن ثم استقراء الحقائق، واللجوء إلى المنهج الوصفي المتجسد في الإحصاءات الوصفية التي تعنى بجمع البيانات الرقمية وعرضها في جداول بيانية. فالمنهج الإحصائي يهتم بتطوير الأفكار النظرية وتطبيقها من أجل تفسير بيانات رقمية معينة والخروج منها باستدلالات واضحة.

أهمية البحث: يرى البحث في مسألة انتهاك الاحتلال الصهيوني لحق الشعب الفلسطيني في المجالات التربوية والثقافية، عمقًا يدفع الباحث الاجتماعي إلى ملامسته. وقد لفت الانتباه إلى أنّ المقاومة الفلسطينية هي حالة اجتماعية تاريخية، فهي ظاهرة اجتماعية مركّبة ومتعددة المستويات، تخلق سياقًا اجتماعيًا يعيد ترتيب العلاقات الاجتماعية. يرصد البحث الانتهاكات الإسرائيلية عبر عرضه واقع التعليم في غزّة قبل طوفان الأقصى وبعده، مبينًا في ذلك حجم الدمار الذي لحق بالمؤسسات التعليمية والضحايا البشرية التي نجمت عنها. ينظر البحث في الوضع الفلسطيني الكارثي، وبخاصة في الأيام الاحتفالية السنوية، وما يحمله هذا الوضع من معاني تتعدّى كلّ ما مرّت به الدول من مآسٍ عبر التاريخ، فيبيّن التعدي الصارخ للسلطات الإسرائيلية على النصوص والمعاهدات والمواثيق الدولية. كما يتناول ردود أفعال بعض المنظمات الدولية (اليونسكو، الألكسو، والإيسيسكو)، تجاه ما يحدث في فلسطين بعد طوفان الأقصى، وضرورة العمل على الاضطلاع بمسؤولياتها في حماية المنظومة التربوية والتراث الإنساني في غزة والأراضي الفلسطينية كافة.

الإطار النظري

يكمن جوهر دينامية المجتمع بحسب آلان تورين في الحركات الاجتماعية بوصفها ذوات فاعلية، ترتبط مباشرة بالتاريخانية؛ أي بالعلاقات وصراعات القائمة[7]، وهو ما جعل تورين يراهن على سوسيولوجيا الفعل التي تهتم بدراسة الأفعال والعلاقات والصراعات[8]. كما تعمل الحركات الاجتماعية بأن تمتلك التاريخ لنفسها من خلال الدفاع عن هويتها واستقلالها ضد خصومها. فأهم ما يميزها هو المرور من الهوية الدفاعية إلى الهوية الهجومية، وهذا ما ميّز طوفان الأقصى؛ فما عرف عن الفلسطينيين هو محافظتهم في المقاومة على مستوى ردّ الفعل، إلا أنّهم في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023 أخذوا زمام المبادرة وشنّوا هجومًا على الكيان الإسرائيلي. فالمقاومة لا

(7) Alain Touraine, *Production de la société* (Paris : Le Seuil, 1973), p. 19.

(8) عبد الإله فرح، **آلان تورين ودينامية السوسيولوجيا** (الرباط: مؤمنون بلا حدود، 2018).

تأتي من قوة خارجية وإنما هي تشبهها، وليس هناك أسبقية منطقية أو زمنية للمقاومة، فزوجي «المقاومة والقوة» يختلف عن ثنائي «التحرر والسيطرة» ويجب أن تتمتع المقاومة بخصائص القوة نفسها[9].

نشأت حركة حماس في استقلال نسبي عن الدولة وسعت إلى التعبير عن امتلاكها التاريخانية، ويتبلور مفهوم الذات الفاعلة كتعبير عن هذه الحركية الاجتماعية[10]. وفكرة الذات الفاعلة تستدعي فكرة النضال الاجتماعي[11]، وهي تتجسد بوضوح في صور المقاومين في غزة من أجل الحرية، ويظهر من خلال التزاماهم ومسؤولياتهم «تجاه حق كل فرد في العيش بكرامة والاعتراف له بهذه الكرامة»[12]. وتتجلى فكرة الكرامة بوضوح حينما تصبح هي الفكرة المركزية عند الفاعلين الاجتماعيين الذين يصارعون من أجلها[13]. فالمقاومة الفلسطينية هي حالة اجتماعية تاريخية، يتمثل وجهها الأبرز بالمواجهة المسلحة التي تقوم على المواجهة بين الإرادة التحررية، والإرادة الاستعمارية، التي هي في الحالة الصهيونية إرادة احتلال إحلالي واستيطاني، يمارس التهجير ويعمل على تعويض أصحاب الأرض الأصليين بغُزاة ومستوطنين. وللمواجهة العسكرية انعكاساتها على المجتمعات، إذ يقع المساس بالتنظيم الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي والسياسي. وبهذا المعنى، تصبح المقاومة ظاهرة اجتماعية مركبة ومتعددة المستويات، تخلق سياقًا اجتماعيًا يعيد ترتيب العلاقات الاجتماعية فيه[14].

أفرز طوفان الأقصى مخرجات تربوية وقيميّة جليّة تتمثل بخاصة بالهمّة العالية والصمود القوي للفلسطينيين، وفي معاملة المقاومة الفلسطينية للأسرى لديها. كذلك تظهر في مجتمع المقاومة العربي الإسلامي، الذي ظهر في الحركة الواسعة لدى الجماهير عبر التظاهر لمساندة المقاومة الفلسطينية. أمّا على المستوى الإنساني العالمي، فقد تمّت مساندة الكثير من الدول للمقاومة الفلسطينية. لذلك فقد مثّل مجتمع المقاومة نقطة مركزية في تحول ثقافة المقاومة لاستعادة التفكير النقدي في كثير من المقولات، لا فقط في اتجاه كشف المقولات السياسية الاستعمارية المساندة للاحتلال الصهيوني، بل في اتجاه إحداث انعطافة كبرى على المستوى العالمي لأنها وضعت على محك الاختبار جملة الادّعاءات التي قامت عليها الثقافة الفكرية والعلمية السائدة[15].

---

(9) Michel Foucault, *Le Courage de la vérité* (Paris : Gallimard Seuil, 2009).

(10) Alain Touraine, *Le Retour de l'acteur* (Paris : Fayard, 1984), p. 15.

(11) آلان تورين، **براديغما جديدة لفهم عالم اليوم**، ترجمة جورج سليمان؛ مراجعة سميرة ريشا (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011)، ص 179.

(12) المصدر نفسه، ص 233.

(13) Alain Touraine, *Nous-sujets humains* (Paris : Ed. du Seuil, 2015).

(14) منير سعيداني، «مجتمع المقاومة وثقافتها،» محاضرة على منبر إلكتروني، مركز الدراسات الإستراتيجية حول المغرب العربي- تونس، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/22bj5r5y>.

(15) المصدر نفسه.

أولًا: واقع التعليم في غزّة قبل طوفان الأقصى

يعدّ التعليم وليد حركة المجتمع، ففي بنيته تنعكس ظروف المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتتكون اتجاهاته ومساراته، ويدخل في حركة تفاعل مع الظروف المجتمعية المحيطة به. ويعدّ التعليم جزءًا من نظام أكبر هو البنية الاجتماعية التي يمثّل النظام السياسي فيها صاحب السطوة في تشكيله وتوجيهه[16]. فقد تأثر التعليم الفلسطيني في غزة بظروف الحصار الإسرائيلي المشدد، والانقسام المتواصل بين حركتي فتح وحماس، وتراجع الأوضاع الاقتصادية.

تظهر أهمية التعليم من خلال العدد الذي يستقطبه أو الوقت الذي يأخذه من عمر الإنسان أو النفقات التي يتطلّبها، وضخامة المهمات الموكولة إليه[17]. فمع بداية الانقسام الفلسطيني، وبخاصة بعد صدور القرار الرئاسي من السلطة الفلسطينية بمنع العمل في الوزارات والمؤسسات الحكومية بعد سيطرة حركة حماس عليها في حزيران/يونيو 2007، فقد استنكف المئات من المدرسين عن عملهم خوفًا من قطع رواتبهم. لكن بعد توقيع اتفاق المصالحة في القاهرة عام 2011، الذي تمّ بموجبه تعيين مدرسين جدد من جانب حماس، عاد الكثير من المدرسين إلى العمل. وقد تعرضت المدارس في غزة للقصف الإسرائيلي خلال الحروب الثلاث، إذ دمرت إسرائيل في صائفة 2014 خمس مدارس تدميرًا كليًا، وتضررت 182 مدرسة تضررًا بليغًا، كما حاولت إسرائيل عرقلة إعادة ترميم 55 مدرسة. لقد تأثر التعليم بدرجة كبيرة بالصراعات السياسية في غزة، وبخاصة عند توقف حكومة التوافق عقب تأسيسها عام 2014 عن دفع الاعتمادات المالية للوزارة. يتجلى هذا التأثر في الأزمة التي يعيشها المعلمون الجدد في غزة، فعملية صرف رواتبهم بنسبة 40 بالمئة أو 50 بالمئة له تبعاته النفسية والحياتية والعلمية على عطاء المعلم والوضع التربوي بوجه عام[18].

1 ـ واقع التعليم العام في فلسطين قبل طوفان الأقصى

أ ـ عدد المدارس وعدد الأبنية المدرسية في فلسطين (2022ـ2023) (لا تشمل المدارس التي تشرف عليها وزارة المعارف والبلديات الإسرائيلية)

بلغ عدد المدارس في العام الدراسي 2022ـ2023 في فلسطين، 3,190 مدرسة، تتوزع بين 2,338 مدرسة حكومية، و380 مدرسة تابعة لوكالة الغوث، و472 مدرسة خاصة. وفيما يتعلق بالتوزيع على مستوى المناطق، بلغ عدد المدارس في الضفة الغربية 2,394 مدرسة، تضم 1,896 مدرسة حكومية، و96 مدرسة تابعة لوكالة الغوث، و402 مدرسة خاصة. في حين بلغ عدد المدارس في قطاع غزة 796 مدرسة، تتوزع بين 442 مدرسة حكومية، و284 مدرسة تابعة لوكالة الغوث،

---

(16) علي سعيد إسماعيل، **الفكر التربوي العربي الحديث**، عالم المعرفة؛ 113 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1987)، ص 9.

(17) بوبكر السّعودي، «نظام التّعليم واتجاهات المربين (ولاية باجة كنموذج تطبيقي)،» (أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، أيلول/سبتمبر 1998)، ص 4.

(18) معتصم الميناوي، مسؤول الإعلام والعلاقات العامة بوزارة التربية والتعليم في قطاع غزة، في حديث لـ **الشرق الأوسط** (2014).

و70 مدرسة خاصة[19]. أما عدد الأبنية المدرسية في الضفة الغربية فقد بلغ 2,383 مبنى، توزعت بين 1,889 مبنى حكوميًا، و93 مبنى تابعًا لوكالة الغوث، و401 مبنى خاص. أما في قطاع غزة، فكانت الأبنية المدرسية تبلغ 550 مبنى، منها 303 مبان حكومية، و182 مبنى تابعًا لوكالة الغوث، و65 مبنى خاصًا[20].

بلغ عدد المتعلمين 1.38 مليون متعلّم، تم توزيعهم بحسب جهات الإشراف على هذا النحو: 899 ألف متعلم في المدارس الحكومية، و339 ألفًا في مدارس وكالة الغوث، و144 ألفًا في المدارس الخاصة. وعلى مستوى المناطق، فقد كان عدد الطلبة في مدارس الضفة الغربية 775 ألف متعلّم، موزعين بحسب جهات الإشراف: 606 آلاف متعلّم في المدارس الحكومية، و46 ألف متعلِّم في مدارس وكالة الغوث، و123 ألف متعلّم في المدارس الخاصة. أما في قطاع غزة، فقد بلغ عدد الطلبة 608 آلاف، موزعين بحسب جهات الإشراف: 294 ألفًا في المدارس الحكومية، و293 ألفًا في مدارس وكالة الغوث، و21 ألفًا في المدارس الخاصة[21].

ب ـ عدد المعلمين في فلسطين (2022ـ2023)

في العام الدراسي 2022ـ 2023، كان عدد المعلمين في المدارس في فلسطين 62 ألفًا. منهم 43 ألفًا في المدارس الحكومية، و10.5 ألف مدرِّس في مدارس وكالة الغوث، و8.5 ألف مدرس في المدارس الخاصة. وعلى مستوى المنطقة، كان عدد المعلمين في مدارس الضفة الغربية نحو 40 ألفًا، يتوزعون بين 31 ألفًا في المدارس الحكومية، وألفين في مدارس وكالة الغوث، و7 آلاف في المدارس الخاصة. أما في قطاع غزة، فكان عدد المعلمين 22 ألفًا، يتوزعون بين 12 ألفًا في المدارس الحكومية، و9 آلاف في مدارس وكالة الغوث، وألفًا في المدارس الخاصة.

خلاصة القول إنه رغم التحديات الكبيرة التي واجهت فلسطين قبل طوفان الأقصى، بما في ذلك الحصار الاقتصادي والصراع الدائر في المنطقة، تشير عدة دراسات إلى الحرص الكبير لدولة فلسطين على تطوير البنية التحتية التعليمية وتحسين جودة التعليم. على سبيل المثال، بيّنت دراسة نشرت في مجلة *International Journal of Educational Development* في عام 2019 وجود استثمارات ملموسة في تطوير البنية التحتية التعليمية في فلسطين، وهو ما يعكس الالتزام الجاد بتحسين الظروف التعليمية رغم التحديات الاقتصادية والسياسية[22]. كذلك أشارت دراسة أخرى نُشرت في مجلة *Education Policy Analysis Archives* في عام 2020 بأن جهود تطوير التعليم في فلسطين تركزت على توفير التكنولوجيا التعليمية وتطوير المناهج الدراسية لتكون أكثر توافقًا مع حاجات المتعلمين ومتطلبات سوق الشغل[23].

---

(19) وزارة التربية والتعليم، **مسح التعليم للعام الدراسي 2022ـ2023** (رام الله: وزارة التربية والتعليم، 2023).

(20) المصدر نفسه.

(21) المصدر نفسه.

(22) «Investments in Palestinian Education Infrastructure: Challenges and Opportunities,» *International Journal of Educational Development* (2019).

(23) «Enhancing Education in Palestine: Focus on Technological Integration and Curriculum Development,» *Education Policy Analysis Archives* (2020).

وقد أشار البحث الذي أعدته الأونيسكو في عام 2022 إلى زيادة التركيز على توفير التدريب المهني للمعلمين، لتعزيز كفاءاتهم. تُظهر هذه الشواهد العلمية التزامًا فعّالًا بتحسين الجودة التعليمية في ظل الظروف الصعبة. فوفقًا لتقرير نشره البنك الدولي في عام 2023 حول التحديات التعليمية في فلسطين، تمت الإشارة إلى جهود حثيثة تُبذل لتطوير المناهج الدراسية بما يتناسب مع متطلبات العصر.

2 ـ واقع التعليم العالي في فلسطين قبل طوفان الأقصى

أ ـ عدد الطلبة بحسب الشُعب والمناطق

بلغ معدل عدد الطلبة لكل شعبة في المدارس التابعة للحكومة في فلسطين للعام الدراسي 2022ـ 2023، 29.7 طالب لكل شعبة. أما في مدارس وكالة الغوث، فقد بلغ متوسط عدد الطلبة 40.0 طالب لكل شعبة، بينما كان المتوسط في المدارس الخاصة 22.9 طالب لكل شعبة. أمّا على مستوى المنطقة، فقد كان في المدارس التابعة للحكومة في الضفة الغربية 26.7 طالب، في حين بلغ العدد في مدارس وكالة الغوث 34.3 طالب، وكان العدد لكل شعبة في المدارس الخاصة هو 23.1 طالب. أما في قطاع غزة، فكان لكل شعبة في المدارس التابعة للحكومة 38.6 طالب، بينما بلغ في مدارس وكالة الغوث 41.1 طالب، وفي المدارس الخاصة كان المعدل 21.7 طالب لكل شعبة. وفيما يتعلق بمخرجات التعليم، فقد شهد العام الدراسي 2020 ـ 2021 تخرج 46 ألف طالب، توزعوا بين 32 ألفًا في الضفة الغربية و14 ألفًا في قطاع غزة[24].

ب ـ عدد مؤسسات التعليم العالي

بلغ عدد مؤسسات التعليم العالي 53 مؤسسة خلال العام الدراسي 2021 ـ 2022، توزعت بين 35 مؤسسة في الضفة الغربية و17 مؤسسة في قطاع غزة. وهناك جامعة مختصة في التعليم المفتوح توجد في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة. تتخذ من هذه المؤسسات نحو 226 ألف طالب وطالبة مقرًا لتعليمهم[25].

ج ـ عدد العاملين في التعليم العالي

كان عدد العاملين في مؤسسات التعليم العالي في فلسطين 17 ألفًا خلال العام الدراسي 2021 ـ 2022. فقد كان العدد في الضفة الغربية نحو 12 ألفًا، بينما وصل العدد إلى 5 آلاف في قطاع غزة. ومن العاملين بلغ العدد 9 آلاف أكاديمي تعليمي، سبعة آلاف في الضفة الغربية وألفين في قطاع غزة[26].

---

(24) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، **الدليل الإحصائي السنوي لمؤسسات التعليم العالي الفلسطينية للعام الدراسي 2021ـ2022** (رام الله: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2022).

(25) المصدر نفسه.

(26) المصدر نفسه.

الجدول الرقم (1)
مؤشرات مختارة للتعليم العام في فلسطين بحسب المحافظة للعام الدراسي 2022ـ2023

المنطقة/المحافظة	عدد المدارس	عدد الأبنية المدرسية	عدد الطلبة في المدارس	عدد المعلمين في المدارس	معدل عدد الطلبة لكل شعبة
فلسطين	3,190	2,933	1,382,932	62,352	30.7
الضفة الغربية	2,394	2,383	774,568	39,914	26.4
جنين	288	288	84,046	4,612	24.7
طوباس والأغوار الشمالية	53	53	17,012	864	27.1
طولكرم	157	157	48,089	2,402	27.6
نابلس	335	333	107,161	5,400	27.4
قلقيلية	97	96	31,577	1,595	27.1
سلفيت	75	74	21,595	1,156	25.3
رام الله والبيرة	282	281	94,833	5,416	24.7
أريحا والأغوار	38	38	13,813	730	26.3
القدس	262	262	76,152	4,533	22.8
بيت لحم	173	170	58,029	3,000	25.6
الخليل	634	631	222,261	10,207	29.0
قطاع غزة	796	550	608,364	22,438	38.7
شمال غزة	124	86	103,374	3,662	39.5
غزة	303	205	219,468	8,246	38.2
دير البلح	106	69	86,367	3,093	38.8
خانيونس	172	120	122,705	4,672	38.5
رفح	91	70	76,450	2,765	39.7

ثانيًا: واقع التعليم في غزّة بعد طوفان الأقصى

1 ـ عدد الوفيات والمصابين في قطاع التعليم (من 10/7 إلى 2023/11/20)

يشير التقرير الذي أعدته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية[27]، والذي يشمل إحصاءً وتوثيقًا قبل 4 أيام من بدء سريان هدنة لمدة 4 أيام، تم تمديدها إلى 7 أيام، أن عدد الوفيات بلغ 451 من أسرة التعليم العالي، منهم 436 طالبًا، و15 عاملًا، 98 بالمئة منهم في قطاع غزة.

(27) تقرير وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية، عدد الطلبة المسجلين وعدد العاملين في مؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة، من 7 تشرين الأول/أكتوبر إلى 20 تشرين الثاني/نوفمبر 2023.

ومع استئناف العمليات العسكرية الإسرائيلية، على غزة، فإنّ الأرقام الواردة في هذا التقرير قد تتزايد، كما تضرر 14 مبنى تابعًا لمؤسسات التعليم العالي، في غزة والضفة الغربية، على نحو كامل أو جزئي.

الجدول الرقم (2)
الوفيات والمصابون من مؤسسات التعليم العالي

المنطقة	المؤسسة التعليمية	طلبة	عاملين	المجموع
قطاع غزة	19 مؤسسة تعليم عالٍ	424	15	439
	المجموع لقطاع غزة	424	15	439
الضفة الغربية	جامعة القدس المفتوحة	2	ـ	2
	جامعة فلسطين الأهلية	1	ـ	1
	جامعة فلسطين التقنية ـ خضوري	4	ـ	4
	جامعة بوليتكنين فلسطين	1	ـ	1
	جامعة بيت لحم	2	ـ	2
	جامعة الاستقلال	2	ـ	2
	المجموع للضفة الغربية	12	ـ	12
المجموع العام		436	15	451

المصدر: توزيع عدد الوفيات والمصابين في صفوف الطلبة والعاملين لدى مؤسسات التعليم العالي تقرير لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية (10/7 ـ 11/10).

تعطلت العملية التعليمية في 19 مؤسسة في غزة، وهو ما أدّى إلى حرمان أكثر من 88,000 متعلّم تلقي تعليمهم. كما تعطل التعليم الوجاهي في مؤسسات التعليم العالي في كامل الضفة الغربية، ويبلغ عددها 34 مؤسسة، تضم أكثر من 138,800 متعلّم.

الجدول رقم (3)
حجم التعطّل في قطاع التعليم في الضفة والقطاع

المنطقة	عدد المؤسسات التعليمية	عدد الطلبة	عدد العاملين	طبيعة انتظام التعليمية
قطاع غزة	19	88,000	5100	مغلقة
الضفة الغربية	34	138,800	12,300	مغلقة أمام التعليم الوجاهي وتعتمد نظام التعليم الإلكتروني منذ بداية العدوان

المصدر: عدد الطلبة المسجلين وعدد العاملين في مؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة (تقرير لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية).

وحتى 20 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، كانت العملية العسكرية الإسرائيلية قد أدت إلى وفاة 13,000 فلسطيني، وجرح 35,000 آخرين، وتهجير أكثر من مليون ونصف مليون شخص من مساكنهم في غزة، وتدمير 60 بالمئة من وحدات الإسكان، و262 مؤسسة تعليمية. في الضفة الغربية، بلغ عدد الوفيات 217، وعدد الجرحى 2,850، وعدد المعتقلين أكثر من 2,850. وتبعًا لذلك يواجه النظام الصحي في القطاع صعوبات في تحديد وتصنيف هذه الحالات، ومن الصعب أيضًا الحصول على إحصاءات دقيقة حول أعداد الجرحى بين الطلبة والعاملين، نظرًا إلى تعطل سجلات المراقبة لدى مؤسسات التعليم العالي.

2 ـ معتقلون ومبانٍ مدمرة في قطاع التعليم

بلغ عدد الطلبة المعتقلين في الضفة الغربية 112 طالبًا، و6 من العاملين، ينتمون إلى عدة جامعات من بينها المذكورة في الجدول الرقم (4):

الجدول الرقم (4)
أعداد الطلبة والعاملين الأسرى في الضفة الغربية

المؤسسة التعليمية	عدد الطلبة الأسرى	العاملين
جامعة فلسطين الأهلية	8	صفر
جامعة بيت لحم	5	1
جامعة دار الكلمة	1	صفر
جامعة بيرزيت	31	1
جامعة القدس	9	1
جامعة النجاح	15	3
جامعة الخليل	24	صفر
جامعة نابلس للتعليم المهني والتقني	1	صفر
جامعة الاستقلال	4	صفر
جامعة القدس المفتوحة	13	صفر
المجموع	112	6
المجموع الكلي	118	

المصدر: توزُّع الطلبة المعتقلين في الضفة الغربية، تقرير لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية (7/10 ـ 20/11 2020).

وقد أسفر الهجوم الإسرائيلي عن تدمير مبنى جامعة القدس المفتوحة في شمال غزة، وتعرض الفرع لأضرار ناجمة عن القصف. ودمّرت ثلاثة مبانٍ تابعة للجامعة الإسلامية، وهي كلية تكنولوجيا المعلومات وكلية العلوم وعمادة خدمة المجتمع. وعانت بقية مباني الجامعة أضرارًا جزئية. كما تعرضت مبانٍ تابعة لجامعة الأزهر للهجوم أيضًا، وهي مباني جامعة الأزهر الجنوبية، ومعهد الأزهر الديني والحرم الجامعي الجديد، التي تضم كليات الآداب والتربية والشريعة والحقوق والزراعة والطب البيطري، إضافة إلى قاعة الاحتفالات التي تتسع لـ 1,200 مقعد.

الجدول الرقم (5)
مباني المؤسسات التربوية المدمرة في قطاع غزة

المنطقة	المؤسسة التعليمية	عدد المباني المدمرة		التفاصيل
		دمار جزئي	دمار كلي	
قطاع غزة	جامعة القدس المفتوحة	1	1	قصف مبنى جامعة القدس المفتوحة/ شمال غزة، تضرر فرع الجامعة في غزة نتيجة لقصف المحيط بالفرع
	الجامعة الإسلامية ـ غزة	1	3	تعرضت ثلاثة مبانٍ للجامعة الإسلامية في قطاع غزة للتدمير الكلي تعرضت باقي مباني الجامعة لضرر جزئي
	جامعة الأزهر – غزة	1	5	قصفت مباني جامعة الأزهر الجنوبية لحقت أضرار كبيرة بمبنى معهد الأزهر الديني. قصف مباني الحرم الجامعي الجديد (المغرافة)

المصدر: عدد الطلبة المسجلين وعدد العاملين في مؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة (تقرير لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية).

استهدفت القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية مرافق مبنى جامعة النجاح الوطنية الموجود في حرم جامعة فلسطين التقنية – خضوري (L'Université technique de Palestine – Kadoorie)، كما اقتحمت حرم الجامعة وخربت محتويات مكتب مجلس الطلبة فيها. وفيما يتعلق بجامعة القدس المفتوحة في طوباس فهي تعرضت بدورها لإطلاق النار على مرافقها وأصيبت بأضرار جسيمة.

الجدول الرقم (6)
مباني المؤسسات التربوية المتضررة في الضفة

المنطقة	المؤسسة التعليمية جزئي	عدد المباني المدمرة كلي		التفاصيل
	المجموع	3	9	12 مبنى تعليمي وإداري
الضفة الغربية	جامعة النجاح الوطنية/ حرم جامعة فلسطين التقنية- خضوري جامعة بيرزيت	1	-	ـ استهداف مبنى جامعة النجاح الوطنية في حرم جامعة فلسطين التقنية – خضوري، اقتحام حرم الجامعة والعبث بمحتويات مكتب مجلس الطلبة وتخريبها
	جامعة القدس المفتوحة	1	-	استهداف جامعة القدس المفتوحة في طوباس
	المجموع	2	-	مبنيان
المجموع الكلي		5	9	

أكدت وزارة التعليم العالي الفلسطينية أن هذه الأحداث تمثل «انتهاكًا لاتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تهدف إلى حماية المدنيين في حالات النزاعات المسلحة، إضافة إلى المادة 48 من البروتوكول الإضافي الأول»، الذي نص على أن «تعمل أطراف النزاع على التمييز بين السكان المدنيين والمتقاتلين وبين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية، ومن ثم توجه عمليتها العسكرية ضد الأهداف العسكرية، وذلك من أجل احترام وحماية السكان المدنيين، ويُحظر على الأطراف المتقاتلة القيام بما يلي: «الهجمات العشوائية، وتدمير الأعيان والمواد التي لا غنى عنها لبقاء المدنيين». وأوضحت الوزارة أن تلك الوقائع تمثل انتهاكًا للمادة 27، من اللائحة المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية، لاهاي 18 تشرين الأول/أكتوبر 1907، التي تنص على أنه «في حالات الحصار، أو القصف، يجب اتخاذ التدابير اللازمة كافة لتفادي الهجوم قدر المستطاع على المباني المخصصة للعبادة والفنون والعلوم والأعمال».

ورصد التقرير الوزاري ما يزيد على 80 حالة لإجراءات تعسفية بحق الطلبة، من ضمنها قرار إدارة جامعة حيفا بفصل 7 طلبة على خلفية كتاباتهم المؤيدة للقضية الفلسطينية، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما عدّته وزارة التعليم العالي الفلسطينية انتهاكًا للمادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، التي تنص على أن «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء من دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت من دون تقيُّدٍ بالحدود الجغرافية».

نظرًا إلى أهمية قطاع التعليم في تنشئة جيل واع بقضيته الفلسطينية، استُهدِف التعليم في غزّة من جانب سلطات الاحتلال لتدميره، فبات الآلاف من المتعلمين من دون مقاعد دراسية، ودمر الكثير من المؤسسات التعليمية كليًا، أو تضررت نسبيًا وأصبحت تفتقر إلى أدنى المقومات والأساسيات من خدمات وإطارات تربوية، ناهيك بعدم توافر الأمن والأمان للطالب. وبموجب هذه العوامل حلّ زمن الغموض والضبابية على حد قول ريمون فايونكورت الذي سيطر على المناخ التعليمي في غزة من حيث قنوات الاتّصال والمعلومات، وأرضيّته المادّية والنّفسيّة لم تعد قادرة على احتضانه شكلًا وفكرًا وممارسة[28].

أصبح التعليم محور اهتمام الاحتلال على نحو خطير عندما بدأ في تغيير المناهج الفلسطينية في القدس الشرقية، وشن حملة دعائية ضد هذه المناهج، مدّعيًا أنها تحرّض على «الكراهية والعداء للسامية»، وأنها «لا تلتزم بقيم التسامح وقبول الآخر».

إنّ تدمير المؤسسات التعليمية في غزة، لم يكن حدثًا جديدًا ناتجًا من حرب طوفان الأقصى، بل كان من أسوأ ما شهدته المنطقة في العقد الماضي، وبخاصة منذ عام 2011، فقد أصبح التعليم محور اهتمام الاحتلال على نحو خطير عندما بدأ في تغيير المناهج الفلسطينية في القدس الشرقية، وشن حملة دعائية ضد هذه المناهج، مدّعيًا أنها تحرّض على «الكراهية والعداء للسامية»، وأنها «لا تلتزم بقيم التسامح وقبول الآخر». على سبيل المثال، كان شعار مدينة القدس «مدينة القدس عاصمة وطني فلسطين»، وبعد التدخل تحول إلى «القدس مدينة السلام».

هذه الادعاءات تم استخدامها لتبرير الهجمات والقيود المفروضة على النظام التعليمي الفلسطيني، وهو ما أثر بقوة في جودة التعليم وفرص الوصول إليه في المناطق المحتلة. وقد امتدت التأثيرات السلبية إلى النظام التعليمي بأكمله، إذ أشار تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)[29] إلى أن التعليم في غزة يعاني نقصًا حادًا في الموارد والبنية التحتية بسبب الحصار والعمليات العسكرية المستمرة. كما أن تدمير المدارس والجامعات خلال الصراعات أدى إلى تعطيل العملية التعليمية وتراجع مستويات التحصيل الدراسي للمتعلمين.

وفي ما يخص المناهج التعليمية، أشارت دراسة أجرتها مؤسسة الحق الفلسطينية[30] إلى أن التعديلات التي فرضها الاحتلال على المناهج في القدس الشرقية تهدف إلى طمس الهوية الوطنية الفلسطينية وتشويه التاريخ الفلسطيني. وتؤكد هذه الدراسة أن المناهج المعدّلة تتجنب الحديث عن النكبة والاحتلال وتقدم الرواية الإسرائيلية بصورة إيجابية، وهو ما يثير القلق في شأن التأثير

(28) Raymond Vaillancourt, *Le Temps de l'ambigüité le contexte politique du changement* (Québec: Presse de l'université du Québec, 2006).

(29) «UNESCO Report on Education in Gaza,» UNESCO, 2022.

(30) «Palestinian Curricula under Israeli Alterations,» Al-Haq, 2020.

في الهوية الثقافية والتعليمية للأجيال الناشئة[31]. وفي السياق نفسه، يعرض تقرير صادر عن منظمة العفو الدولية[32] تحليلًا للحملة الدعائية التي يشنها الاحتلال ضد المناهج الفلسطينية، مشيرًا إلى أن هذه الحملة تهدف إلى نزع الشرعية عن النظام التعليمي الفلسطيني وإضعاف الروح المعنوية للمتعلمين والمعلمين.

يُظهر الوضع في غزة والقدس الشرقية أن التعليم الفلسطيني يواجه تحديات هائلة من جرّاء السياسات والممارسات الإسرائيلية التي تستهدف تعطيل العملية التعليمية وتشويه المناهج، وهو ما يستدعي تدخلاً دوليًا لحماية حق الأطفال الفلسطينيين في التعليم وضمان بيئة تعليمية آمنة ومستقرة.

إجمالاً، يُظهر الوضع في غزة والقدس الشرقية أن التعليم الفلسطيني يواجه تحديات هائلة من جرّاء السياسات والممارسات الإسرائيلية التي تستهدف تعطيل العملية التعليمية وتشويه المناهج، وهو ما يستدعي تدخلًا دوليًا لحماية حق الأطفال الفلسطينيين في التعليم وضمان بيئة تعليمية آمنة ومستقرة[33].

لذلك، إن ما يشهده القطاع التعليمي في غزة ليس مجرد تبعات حرب حديثة، بل هو جزء من سياسة مستمرة تهدف إلى تقويض التعليم كوسيلة لزعزعة المجتمع الفلسطيني وتحقيق أهداف سياسية على المدى الطويل. وهو ما يؤكّد اتباع الاحتلال خطته الخماسية المعلن عنها بين عامي 2018 و2023 لتحقيق هدفه الرئيسي وهو «أسرلة التعليم» بنسبة 90 بالمئة في شرق القدس.

ولا تُختزل مأساة الشعب الفلسطيني في مجرد أرقام فقط، فهؤلاء الضحايا في غزة هم أشخاص وأحلام، هم طلبة علم ومفكرون وعلماء وأكاديميون، لهم مكانتهم وأدوارهم في الارتقاء بمجتمعهم. لذلك نناشد من هذا المنبر الضمير العالمي والإنساني بالتدخل العاجل، ونطالب جميع المنظمات الدولية الاضطلاع بمسؤولياتها في حماية الأرواح البشرية، والمنظومة التربوية في غزة وكل الأراضي الفلسطينية.

ثالثًا: الوضع الفلسطيني في الأيام الاحتفالية السنوية بعد طوفان الأقصى

1 ـ الوضع الفلسطيني في الأيام الاحتفالية السنوية

أ ـ في اليوم العالمي للطلبة

يحتفل العالم بيوم 17 تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام باليوم العالمي للطلبة، أو ما يعرف بيوم الطالب الدولي. يأتي هذا اليوم بالتزامن مع استمرار القصف على قطاع غزة منذ بداية 7

(31) «Education and National Identity in Occupied Palestine,» Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (PASSIA), 2019.

(32) «Amnesty International Report on Palestinian Education under Occupation,» Amnesty International, 2023.

(33) «Impact of Military Operations on Education in Gaza,» Save the Children, 2021.

أكتوبر 2023، إذ بلغ عدد الوفيات من الطلبة أكثر من 432 طالبًا، وبلغ عدد الأسرى من الطلبة في الضفة الغربية أكثر من 67 طالبًا. في هذه الذكرى السنوية، تطالب اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم، المنظمات الدولية المتخصصة بتحمل مسؤولياتها في حماية المؤسسات التعليمية والحقوق التعليمة للشعب الفلسطيني، وتشدد على ضرورة اتخاذ الإجراءات العملية لمنع مواصلة مثل هذه الانتهاكات. وقد أقرّ دوّاس (الأمين العام للجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم) في جلسة الحوار الوزاري المنعقد في اليونسكو خلال الدورة 42، بأنّه «في الوقت الذي ينعقد فيه هذا اللقاء تحت عنوان التعليم من أجل السلام، فإن السلام مفقود في فلسطين، وبأن العالم في هذه المرحلة يعالج الفاقد التعليمي، ونحن بحاجة لمعالجة الفاقد القيمي والأخلاقي والإنساني في العالم إزاء ما يحدث في فلسطين»، نتيجة الحرب التي شنت على قطاع غزة منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، والتي تمّ في إثرها حرمان أكثر من 600 ألف طالبة وطالب حقهم في الوصول إلى مدارسهم في قطاع غزة، وتعطل للعملية التعليمية في 19 مؤسسة تعليم عالٍ في قطاع غزة[34].

ومع صمت العالم الرهيب رغم جميع المواثيق الدولية التي تحرّم وتحظر هذه الجرائم، فإن عناوين العدالة قد ضلت الطريق، والقانون الدولي الإنساني يتوارى، واتفاقيات حقوق الطفل والحق في التعليم بلا قيمة على حدّ قول دوّاس، الذي طالب بمراجعة دور المؤسسات الأممية والحقوقية في تأدية دورها، مؤكّدًا تحمل منظمة «اليونسكو» مسؤولياتها في حماية المقدرات والمؤسسات التعليمية، والحقوق التعليمية للشعب الفلسطيني، وضرورة تبني مشروع إغاثي لإعادة بناء وترميم المؤسسات التعليمية في ظل الحرب وما بعد الحرب. مؤكدًا بقوله: «لقد رفعتم من خلال «اليونسكو» شعار «التعليم لا ينتظر» فالوضع في فلسطين أيضًا لا ينتظر، وكما ورفعتم شعار «لن نترك أحدًا خلف الركب» فلا تتركوا فلسطين وأطفال وطلبة فلسطين خلف الركب»[35].

ب ـ في يوم المعلم الفلسطيني

14 كانون الأول/ديسمبر من كل سنة هو يوم المعلم الفلسطيني، يأتي هذا العام بالتزامن مع استمرار القصف الإسرائيلي على غزة منذ 7 أكتوبر، وقد بلغ عدد الضحايا 209 بين معلمين وإداريين عاملين في المؤسسات التربوية و619 جريحًا. وقصفت 278 مدرسة حكومية؛ وتعرضت 83 مدرسة لأضرار جسيمة، ودمرت كليًا 7 مدارس، و65 مدرسة تابعة لوكالة الغوث. ووقع الإغلاق الكلي للمدارس في غزة. وتحولت بعضها إلى نظام التعليم الإلكتروني من بعد، وبلغ عدد الأسرى 65 معلمًا وأصيب معلمان، وأكثر من 1750 معلمًا لم يتمكنوا من الوصول إلى مدارسهم، بعضهم يداوم في مدارس أخرى وبعضهم يداوم من بعد. وقد طالبت اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم المنظمات الدولية بحماية المؤسسات التعليمية والحقوق التعليمية للشعب

(34) دوّاس دوّاس، جلسة الحوار الوزاري المنعقد في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو» خلال الدورة الثانية والأربعون للمؤتمر العام للمنظمة، باريس، 2023.

(35) المصدر نفسه.

الفلسطيني، وهي تشدد على ضرورة اتخاذ الإجراءات العملية لمنع مواصلة مثل هذه الانتهاكات المستهدفة بحق المعلمين.

ج ـ في يوم التراث الفلسطيني

يصادف السابع من تشرين الأول/أكتوبر من كل عام يوم التراث الفلسطيني، فهو فرصة لتعزيز وتعميق الفهم والوعي بالتراث والهوية الوطنية للفلسطينيين. لكن التراث الفلسطيني وقع استهدافه من جانب الاحتلال الصهيوني وتمّ تهجير وهدم مئات القرى الفلسطينية منذ عام 1948 وإقامة المستوطنات التي طمست جغرافية فلسطين التاريخية باستخدامها الأسماء التوراتية، عدا الانتهاكات اليومية بحق المقدسات الإسلامية والمسيحية، ومحاولة سرقة آثار وتراث فلسطين المادي وغير المادي.

وأصدرت وزارة الثقافة تقريرًا حول ما تعرضت له الممتلكات الثقافية من تدمير في البنية التحتية الثقافية منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر ومن فقدان المشهد الثقافي 15 مبدعًا من مختلف المجالات. وقد دُمّر الكثير من المراكز الثقافية، منها 5 مكتبات ودور نشر و6 مراكز ثقافية، وتعرضت معظم أجزاء البلدة القديمة لمدينة غزة التي تحتوي 146 بيتًا قديمًا لأضرار جسيمة، إضافة إلى المساجد والكنائس، مثل كنيسة القديس برفيريوس وأسواق ومدارس قديمة وتاريخية، وميناء غزة القديم، وتحول الكثير من المؤسسات الثقافية إلى مراكز إيواء للنازحين كمركز رشاد الشوا، وجمعية نوى.

في ظل هذا الصمت العالمي على هذه الجرائم بحق التراث الفلسطيني، تسعى اللجنة الوطنية الفلسطينية للحفاظ على التراث الفلسطيني وحمايته، وتعمل على زيادة الوعي بأهمية التمسك بالتراث الفلسطيني من خلال تسجيل التراث المادي وغير المادي على قائمة التراث العالمي لدى منظمة اليونسكو وقائمة التراث الإسلامي لدى منظمة الإيسيسكو.

د ـ في اليوم الدولي لحقوق الإنسان

يأتي هذا اليوم من عام 2023، تحت شعار «الكرامة والحرية والعدالة للجميع»، ويصادف الذكرى 75 الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تبنته الأمم المتحدة. لكن ما يحصل في غزة من استهداف للمستشفيات وعمليات الاعتقال والقتل المستمر للأطفال والنساء يعدّ انتهاكًا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فإلى تاريخ 13 حزيران/يونيو 2024، بلغ عدد الضحايا من النساء والأطفال في فلسطين نحو 25,610 نتيجة الحرب القائمة، منهم نحو 10,000 من النساء ونحو 15,610 من الأطفال. وهي أرقام تعكس الأزمة الإنسانية الكبيرة التي تواجهها المنطقة بسبب التصعيد المستمر للعنف[36].

(36) «Six Months into the War on Gaza, over 10,000 Women Have Been Killed, among Them an Estimated 6,000 Mothers, Leaving 19,000 Children Orphaned,» UN Women, 16 April 2024, <https://tinyurl.com/ffwfvkh9>; Jo Becker, «Israel/Gaza Hostilities Take Horrific Toll on Children,» Human Rights Watch, 22 November 2023, <https://tinyurl.com/4jh6hcm6>, and «Palestinian Children Killed in Israeli Attacks on Gaza,» Aljazeera.com <https://tinyurl.com/2bubykrx>.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تمّت ملاحقة النازحين في الممار وقتلهم. وأغلقت المعابر ومنع الخبز والماء والاتصالات والأدوية واستهدفت المستشفيات والطاقم الطبي، وهذا ما أدى إلى وفاة 280 من الكوادر الطبية، ومنع المواطنين من الحصول على خدماتهم الطبية. كما تم تهجير الكثير من المواطنين تحت نيران القصف الإسرائيلي، ونزوح أكثر من مليون ونصف مليون مواطن من سكان شمال قطاع غزة إلى جنوبه الذي لم يسلم أيضًا من القصف. كل ذلك يعدّ انتهاكًا فاضحًا للحق الأسمى الذي هو حق الحياة.

وفي هذه الذكرى تدعو اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم كل المنظمات الدولية المختصّة إلى القيام بمسؤولياتها تجاه استمرار انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني، مع التشديد على أن المواطن الفلسطيني له الحق في العيش على أرضه بحرية وكرامة وضمان كل الحقوق المكفولة له دوليًا.

هـ ـ في اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة

25 تشرين الثاني/نوفمبر هو اليوم الدولي لمناهضة العنف ضد المرأة. تتزامن هذه الذكرى مع القصف المستمر على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، مع التركيز الجلي على النساء والأطفال، الذين مثّلوا 70 بالمئة من الضحايا، وقدّر العدد بـ 4000 امرأة فلسطينية. وبحسب المديرة التنفيذية لهيئة الأمم المتحدة للمرأة، ولا سيما بحوث، «هناك أُمّان تُقتلان في قطاع غزة كل ساعة، و7 نساء كل ساعتين». كما أشارت تقارير تابعة للأمم المتحدة إلى نزوح 800 ألف امرأة فلسطينية رفقة أطفالهن منذ بداية الحرب، وأن أكثر من 50 ألف سيدة حامل في غزة يفتقرن إلى الرعاية الطبية، وأُجري في قطاع غزة الكثير من الولادات القيصرية للنساء بلا تخدير أو مسكِّن وتحت ظروف قاسية ومؤلمة نتيجة نقص المواد الطبية والحصار والقصف المستمر للمستشفيات، وهو ما أدى إلى وفاة الأم أو الجنين. وبحسب صندوق الأمم المتحدة للسكان، يوجد في غزة «حاليًا 5500 امرأة حامل يتوقع أن يلدن خلال الشهر المقبل. وتضع نحو 180 امرأة يوميًا مواليد في ظروف مروّعة»، إضافة إلى الاعتقالات في الضفة الغربية والقدس التي شملت أكثر من 100 امرأة، وكذلك تشديد سلطة سجون السلطات الإسرائيلية إجراءاتها على الأسيرات الفلسطينيات.

في هذه المناسبة، طالبت اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم المجتمع الدولي ومؤسساته، بالتحرّك الفوري لوقف الاعتداء الإسرائيلي السّافر وتحمّل مسؤولياتها وواجباتها إزاء المرأة الفلسطينية، ومحاسبة السلطات الإسرائيلية على جرائمها ضد المرأة الفلسطينية.

و ـ في اليوم العالمي للطفل: الطفولة الفلسطينية في مرمى نيران القصف

أعلن يوم 20 تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام يومًا عالميًا للطفل، بينما تصر إسرائيل على حرمان أطفال فلسطين الحقَّ في الحياة، فمنذ بدء القصف على قطاع غزة قُتل 5500 طفل، وجرح 15 ألفًا آخرين وفُقد 1800 تحت الأنقاض[37]. وخلّف القصف وراءه 18 ألف يتيم، و300 طفل مجهول الهوية نتيجة الإبادة الجماعية للمدنيين. وتمت محاصرة المستشفيات، كمستشفى

(37) وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، تشرين الثاني/نوفمبر 2023.

الشفاء حيث ترك 36 من الأطفال الرضع من دون حضانات نتيجة قطع الكهرباء والوقود فتوفي الكثير منهم[38]. وتطالب اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم كل المنظمات الدولية المتخصصة والمنظومة الحقوقية الدولية بكل مركباتها بأن تواجه هذا الاستهداف الخطير للطفل الفلسطيني وحقوقه.

يعاني الجرحى الفلسطينيون[39]، وبخاصة منهم الأطفال، الذين يمثلون 17 بالمئة من مجمل الجرحى، تداعيات مختلفة تتمثل بإصابات جسدية خطيرة تترك آثارًا طويلة الأمد في صحتهم وحياتهم، كما أن الإصابات قد تؤدي إلى الإعاقة والعجز الدائم لهم، وهو ما يحول دون تحقيقهم إمكانياتهم الكاملة ويؤثر في مستقبلهم، وقد يحول أيضًا دون وصولهم إلى التعليم.

بسبب الحرب على قطاع غزة أكثر من ثلثي سكانها يعانون الاكتئاب، وترتفع مستويات أعراض الاضطراب في الفئة العمرية 18ـ29 عامًا[40]. وأعلى نسبة في نطاق الصعوبات الوظيفية بين الأطفال هم في الفئة العمرية 5ـ17 سنة. وقد بلغت نسبة من يعانون القلق في قطاع غزة 13 بالمئة. ويقدر بأنّ 52.450 طفل في العمر 5ـ17 سنة يعانون التوتر في عام 2023 في حين ما يقارب 13000 طفل سيعانون الاكتئاب وفقًا لتقديرات عام 2023 المبنية على نتائج المسح العنقودي متعدد المؤشرات 2019ـ2020 قبل العدوان على قطاع غزة في 7 تشرين الأول/أكتوبر[41].

2 ـ ردود أفعال بعض المنظمات الدولية مما يحدث في فلسطين بعد طوفان الأقصى

أ ـ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو»

أكدت المنظمة ضرورة توقف الاعتداءات على المباني التعليمية في غزة. وأقرت بأنّ استهداف وقصف المدارس التابعة للأمم المتحدة من جانب إسرائيل يعدّ انتهاكًا فاضحًا للقانون الدولي. كما دعت اليونسكو إلى حماية المباني التعليمية التي تتحول في معظم الأحيان إلى ملاجئ للسكان، مشددة على أن استهدافها أو استغلالها لأغراض عسكرية يتعارضان مع القانون الدولي. لذلك عقدت المنظمة مؤتمرًا عامًا بتاريخ 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، تناولت فيه تأثير وعواقب الوضع الراهن في قطاع غزة/فلسطين، فذكّرت بأحكام اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح لعام 1954 (اتفاقية لاهاي)، وبأحكام اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972، واتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لعام 2003. كما أكّدت أيضًا دورها الأساسي في ضمان توفير التعليم للجميع. وطالبت اليونسكو بالتوقف فورًا عن أي هجوم

(38) قيس أبو سمرة، رام الله/الأناضول، تشرين الثاني/نوفمبر 2023.

(39) بيان صحفي بمناسبة اليوم العالمي للطفل، الإحصاء الفلسطيني، 2023.

(40) مسح الظروف النفسية، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني بالتعاون مع البنك الدولي حول الصحة النفسية والحرب على قطاع غزة، 2022.

(41) تقديرات مبنية على بيانات المسح العنقودي متعدد المؤشرات 2019ـ2020.

على المدنيين، ولا سيّما على الأطفال والنساء والشباب والمعلمين وسائر العاملين في مجال التربية والتعليم، وكذلك عن أي هجوم على المدارس والكليات والجامعات، في ظل الاحترام التام لأحكام قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 2601 (2021)[42].

ثمّ نظم في مقر اليونسكو في باريس بتاريخ 2024/02/01 اجتماع للدول الأعضاء حول الوضع في غزة، لمتابعة قرار المؤتمر العام للمنظمة في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي حول «تأثير وعواقب الوضع الراهن في قطاع غزة»، فاستعرض الوضع الكارثي في غزة ومدى الدمار في مختلف القطاعات وبخاصة التعليم والثقافة، وتم الحديث عن الإجراءات المتخذة حاليًا والمشاريع على المدى القريب والبعيد لإعادة إعمار غزة[43].

ب ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو»

تابعت الألكسو الواقع الفلسطيني وأكّدت أنّها:

ـ تندد بالإبادة الجماعية التي شملت رجالات ونساء التربية والتعليم وتلاميذهم وطلبتهم والمؤسسات التعليمية.

ـ دانت الألكسو الإبادة الممنهجة لاستهداف شواهد التراث الفلسطيني المادي والوثائقي والتاريخي، وهي تستنكر انتهاك السلطات الإسرائيلية للقانون والمواثيق الدولية، التي من بينها اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح.

ـ تهيب المنظمة بدول العالم ومنظماته للوقوف مع حق الشعب الفلسطيني وحمايته، ووقف الحرب عليه.

كما أدان المجلس التنفيذي للألكسو في أعمال دورتها الـ 120 التي عقدت في تونس في 2023/11/23 تلك الحرب، وقد قُدم في أثناء الدورة عرضٌ حول الأوضاع التربوية والثقافية والتعليمية الكارثية في فلسطين من جرّاء تدمير البنية التعليمية والثقافية التحتية على يد الاحتلال، إضافة إلى استهداف الصحافيين والكتاب والمثقفين. ودعا المجلس إلى اتخاذ مجموعة من القرارات لمصلحة فلسطين، كما دعا إلى إعلان مبادرة عربية مشتركة لدعم وإغاثة وإعادة بناء المؤسسات التربوية والتعليمية في غزة، مناشدًا المنظمات والمؤسسات الدولية والحقوقية اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقف العدوان الصهيوني ومحاسبته على جرائمه المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني.

ج ـ منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

أدانت الإيسيسكو استهداف مدرستي الفاخورة وتل الزعتر في قطاع غزة، وما خلفه القصف الإسرائيلي من سقوط مئات الضحايا بين قتيل وجريح؛ وأكدت أنّ استمرار هذا السلوك الوحشي يبين إصرار السلطات الإسرائيلية على خرق كل القوانين والأعراف الدولية، والاستخفاف بالمواقف المتصاعدة في كل مكان ضد هذه الممارسات العنيفة. وبذلك فإنّ هذه المنظمة تناشد جميع

(42) UN News, <https://arabic.rt.com/middle_east/1507457>.

(43) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، **سجلات المؤتمر العام، القرارات، المجلد الأول، الدورة الثانية والأربعون**، باريس، 7 ـ 22 تشرين الثاني/نوفمبر 2023 (باريس: اليونسكو، 2024).

المنظمات الدولية، ولا سيما العاملة منها في مجالات التربية والعلوم والثقافة، للتعبير عن موقف حازم تجاه هذه الممارسات العدوانية، والدعوة إلى اتخاذ ما يلزم من إجراءات المحاسبة. وإلا فإن الصمت على هذا الصلف العدواني سينسف كل الجهود الخيرة الساعية لإحلال الأمن والسلام، بل سيمهد الطريق لتنامي تيارات التطرف والعنصرية والكراهية في كل أنحاء العالم. وانطلاقًا من المهمات الموكولة إليها فإنّ الإيسيسكو تؤكد دعم المنظومتين التعليمية والثقافية في قطاع غزة، واستمرار دورها في تعزيز جهود دولة فلسطين في مجالات التربية والعلوم والثقافة. وأقرّت المنظمة بأهمية إدراج بند القدس والأوضاع التربوية والعلمية في فلسطين على جدول أعمال المجلس التنفيذي للمنظمة القادم، الذي سيتم خلاله اتخاذ قرارات تليق وتتناسب مع حجم الحاجات وحجم الحدث.

استنتاجات

استهدف الكيان الإسرائيلي قطاع غزة على نحو عنيف ودموي، في حرب تُعدّ الأكثر وحشية في التاريخ الحديث والمعاصر. تميَّزت هذه الحرب بتصاعد العمليات العسكرية المستمرة التي استهدفت البنى التحتية الحيوية للمدنيين والمؤسسات الحيوية مثل المدارس والجامعات. تعرضت المؤسسات التعليمية لهجمات مباشرة، وهو ما أسفر عن إغلاقها وتدميرها، إضافة إلى عمليات اغتيال استهدفت الطلبة والأكاديميين والمفكرين. تعد هذه الحرب بمنزلة الانتهاج القاسي الذي استهدف مباشرة الحقوق التربوية والتعليمية للسكان في غزة؛ فالتدمير الجسيم للبنى التحتية التعليمية والتعليم العالي له تأثيرات بعيدة المدى في مجتمع غزة.

تمّ رصد هذه الانتهاكات في المجالات التربوية والثقافية والعلمية في هذه الدراسة، عبر عرض واقع التعليم في غزّة قبل طوفان الأقصى وبعده، مبينًا ذلك حجم الدمار الذي لحق بجميع المؤسسات التعليمية التربوية والضحايا البشرية التي نجمت عنها.

وتطرقت الدراسة إلى الوضع الفلسطيني الكارثي وبخاصة في الأيام الاحتفالية السنوية، مظهرة المفارقة الكبيرة القائمة بين ما نصت عليه النصوص والمعاهدات والمواثيق الدولية من ضوابط قانونية وأخلاقية، وبين التعدي الصارخ عليها من جانب الاحتلال الصهيوني. وأشارت الدراسة أيضًا إلى ردود أفعال بعض المنظمات الدولية: كاليونسكو وألكسو، وإيسيسكو، إزاء ما يحدث في فلسطين، مشددة على ضرورة قيام هذه المنظمات في حماية المنظومة التربوية والتراث الإنساني في غزة والأراضي الفلسطينية كافة.

أفرز طوفان الأقصى مخرجات تربوية وقيميّة تمثلت بالهمة العالية والصمود الذي وجد لدى الفلسطينيين. وتجسدت أيضًا في مجتمع المقاومة العربي الإسلامي، الذي أظهر المساندة لطوفان الأقصى في حركة جماهيرية واسعة أعادت الإشعاع من جديد إلى القضية الفلسطينية. أمّا على المستوى الإنساني العالمي، فقد تمّت مساندة الكثير من الدول للمقاومة الفلسطينية ومقاومتها من انحسارها في بعض الدوائر النخبوية المثقفة. لذلك مثل مجتمع المقاومة نقطة مركزية في تحول ثقافة المقاومة لاستعادة التفكير النقدي في كثير من المقولات السياسية الاستعمارية المساندة

للكيان الإسرائيلي المتجاوزة للقانون الدولي وكشفها، والدعوة إلى إعادة النظر في مفاهيم حقوق الإنسان، والنضال، والمقاومة، والحرية...

خاتمة

يمكن الإقرار بأنّ «طوفان الأقصى» يعدّ عملية لها خصوصيتُها سواء من حيث السياق التاريخي السياسيّ الذي تمّت فيه، أو من حيث التداعيات الناجمة عنه. فهو حدث فريد في نوعه في تاريخ المقاومة الفلسطينية ضدّ الاحتلال الإسرائيلي ولا مجال لمقارنته بأيّ حدث تاريخي سابق، سواء حرب الأيام الستة من عام 1967 أو حرب 1973، أو أحداث 11 أيلول/سبتمبر من عام 2011. وقد اختارت المقاومة الفلسطينية بحكمة هذا العنوان «طوفان الأقصى»، الذي سيعاد من خلاله رسم الخرائط والاستراتيجيات للنضال والمقاومة الفلسطينية. وسيظل هذا التاريخ خالدًا في ذاكرة الشعوب، إذ كان حدثًا عالميًا لاقى اهتمامًا كبيرًا وأثار العواطف والمشاعر، فازدادت أعداد المتضامنين الدوليين مع الفلسطينيين، وأعاد إشعاعًا جديدًا للقضية الفلسطينية.

يعدّ «طوفان الأقصى» الدليل القاطع للسلب الذي تعرضت له الأراضي الفلسطينية، وسفك الدماء على يد الاحتلال الصهيوني، الذي يواصل انتهاكه المتصاعد في قطاع غزّة للحقوق التربوية والتعليمية، والمحاولات الرامية إلى ضرب مقومات الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني.

ومن المتوقع أن يؤدي هذا الحدث إلى التساؤل عن التأثيرات القريبة والبعيدة المدى لطوفان الأقصى في المشاريع التربوية الفكرية العربية، والتساؤل عن إمكان بناء نموذج فكري جديد على أنقاض ما يحدث في قطاع غزة □